كريستينا شتاين

البحث عن لوسي

(قصة تشويقية)

ترجمة

أميرة أمين

SAUERLÄNDER

.1

أحتاج أحيانًا عشـر ثوانٍ لاقتحام المكان، عشـر ثوانٍ بالكاد أضـع خلالها عدتي بين طبقات العازل المطاطية وأستمر في تحريكها، حتى أزيح لسان القفل، وينفتح الباب.

لكنني أصبت بإحباط شديد الآن، فهذا الرجل المهمل ذو الأنف المعقوف، الذي يعيش في هذا المنزل، لم يحكم غلق الباب بل اكتفى بسـحبه خلفه. يالها من علامة غير مبشِّرة، على الأقل بالنسبة لي. وبالنسبة للوسي. إنها لن تكون هنا. إذا افترضنا أن الرجل ذو الأنف المعقوف معتلّ نفسيًا ويحبسها في القبو، فلن يسمح بأي تسيُّب مثل هذا، وإلا كان أحكم غلق الباب على كل حال. أي شـخص غبي يعرف أن باب غير محكم الغلق هو باب شبه مفتوح.

أدخل في حذر، وفي الحال ظهرت عليَّ الأعراض: وَخز في البطن، وطنين خافت في الأذن ، أشعر أنني معزولة عمّا حولي وكأنني أرتدي بذلة رائد فضاء محكمة.

قد أستطيع أن أتخلص من ذلك الشعور بلا صعوبة كبيرة، في منتصف تلك الممر التي تنبعث فيها تلك الرائحة الغريبة، بدا لي هذا الخليط مألوفًا لدرجة جعلتني أميّز مكوناته بسهولة، إنها رائحة دهنية، تشبه رائحة الأرض نوعًا ما، وتشوبها رائحة المخلفات العضوية الدهنية، التي لا يستدعي الأمر إفراغ صندوق القمامة بسببها، إنها رائحة بيت إنسان وحيد.

ارتديت في البداية فوق حذائي عوازل بلاستيكية زرقاء، مثل خبراء الجريمة في الحلقات التليفزيونية، الذين يبحثون عن جثةٍ ما ولا يريدون ترك آثار دالة عليهم. مشاهدة الحلقات على نتفلكس لها بعض المميزات، على الأقل نعرف من خلالها أساسيات مسرح الجريمة ومعنى منهجية العمل في هذه الظروف. أما الباقي فيمكن الاطلاع عليه على يوتيوب.

يسترخي جسدي أخيرًا وأستنشق تللك الرائحة العفنة المحزنة. من المفترض أن يكون هذا وقت استراحتي، رحلة قصيرة إلى كوكب آخر حيث أتجول مرتدية بذلتي الفضائية، ولا أشعر بأي آلام أو وخزات في البطن. بدلًا من ذلك يسري الاضطراب في أوردتي، والخوف المثير، والتأثير الكهربائي لتدفق الأدرينالين. إنه خليط مثالي. أفضل من أي حالة من حالات السُكر التام.

دخلت في البداية إلى الممر. هذا الرجل المسمى شلودر لا يمتلك شيئًا تقريبًا. ها هنا خزانة ملابس بائسة معلق عليها معطف مطر أخضر وشمسية وبلوفر، وهذا الحذاء الصيفي قديم الطراز، وهذه القطعة المكتبية مع القطة الذهبية الملوّحة[1] عديمة الذوق (حقًا؟؟؟)، وهذه الجرائد والخطابات. سوف أتفحص هذه الأكوام بعد قليل بهدوء، بكل هدوء. لكن الأمر الأهم الآن هو القبو، وشعوري بوجودي داخل المنزل الخاوي، والتماسي لما أبحث عنه.

"لوسي؟"

لم أنطق بالكلمة سوي همسًا، لكنها تحرق في حلقي كمشروب كحولي رخيص، إن مجرد نطقي لاسمها يوقف تدفق الأدرينالين في عروقي. أشعر بالحزن مثل شبكة عنكبوت لزجة. حتى السير فوق سطح الكواكب الغريبة ليس سهلًا، مثل تلك الدموع التي تتدافع إلى عيني الآن.

"لو؟"

المنزل ساكن وتنبعث منه رائحة الزوال. يؤدي الممر إلى باب يقود مباشرة إلى القبو. أنا أعرف ذلك؛ لأنني تعرفت من الاقتحامات السابقة على تخطيط هذا النوع من المنازل. يصير المرء مدمنًا، عندما يشعر بدفقة الأدرينالين في أوردته ولو لمرة واحدة.

على الرغم من أنني أعلم من مراقبتي الدقيقة للرجل ذي الأنف المعقوف أنه سيغيب عن المنزل لمدة ثمان ساعات، فإنني لم أضئ مصباح سلم القبو، وذلك لأن إضاءة المصباح ثم غلقه بشكل غير مألوف، قد تثير ريبة جاره ساعي البريد. ولِمَ أعرض نفسي لهذا الخطر وقد أحضرت معي مصباح يدوي؟ بالطبع يعد نزول السلم في هذا الظلام أمرًا مخيفًا. كل ما في القبو يثير الخوف، خاصة كوّمات التراب المنفوشة التي تتبعثر ببطء بفعل خطواتي. وفي النهاية فأنا أبحث في الأسفل هناك عن شيء، عن أي شيء يشير إلى وجود "لوسي"، شيء أكثر سوءًا مما أجرأ على تخيّله.

[1] تمثال قطة ملونة معروف في دول شرق آسيا وخاصة اليابان بأنه رمز للفأل الحسن. (المترجمة)

تبدو الممر داخل القبو مثل غيرها من الممرات التي سبق ورأيتها؛ زجاجات بيرة وخمر فارغة، صناديق مياه، رف للأحذية موضوع فيه حذاء رياضي وحذاء مكتنز ومغبر مخصص لسير المسافات الطويلة. إذن لا شيء غير طبيعي. أم ماذا؟ كل منزل له سماته الخاصة المميزة. لكن ما أراه هنا لا يوحي بشيء.

ثم أتت الصدمة. الشيء المفاجئ. شيء لم يواجهني من قبل خلال مسيرتي القصيرة كمقتحمة للبيوت؛ صوت مفتاح يدور في قفل الباب. ينفتح الباب في الطابق الأرضي، أطفئ مصباحي اليدوي في نفس اللحظة. تتسارع دقات قلبي، ويتحول وريد رقبتي إلى دودة سمينة نابضة. هل لدى معقوف الأنف سيدة تنظف المنزل؟ هل عادت؟

لماذا؟

لقد راقبت هذا الأحمق *لمدة أربعة عشر يومًا كاملة*، للتعرف على روتينه اليومي وعاداته (بما في ذلك جهاز تعقُّب مسار سيارته اللعينة). كيف يُعقل أن يعود إلى المنزل مرة ثانيةً بعدما غادره بثلاثين دقيقة؟ هل ذهب إلى العمل وأبلغ أنه مريض؟ هل نسيَ شيئًا؟ ماذا **يريد** بالضبط؟

يتسكع في الممر ويصفر بصوت خافت. لطالما اعتبرت أولئك الذي يصفرُّون معتلِّين نفسيًا متخفيين. وربما لذلك سرعان ما اقشعر جلدي. هذا الرجل لا يمكن أن يكون سوى إنسان مؤذٍ. ربما لديه في حياته أشياء أخرى غير ذهابه إلى مكتب الضرائب شديد الملل (أربعون ساعة بائسة أسبوعيًا)، ورحلته القصيرة إلى أسواق "ألدي". ليس لديه أي شيءٍ آخر في حياته. **لا شيء بالمرة**. لا علاقات، لا زيارات لنادي اللياقة البدنية، ولا لقاءات مع آخرين.

البيت – مكتب الضرائب – ألدي – البيت.

كل شيء يحتاجه هذا الرجل لمتعته، يمكن أن يتوفر بين الأربعة جدران التي لا تبعد عني مسافة ثلاثة أمتار.

أشــعر أنني لســت بخير، لدرجة أنني أرغب في القيء فوق كرات التراب هذه. تثور محتويات معدتي إلى أعلى لكنها تبقى عالقة في حلقي.

لا تتقيأي يا " أمبر[2]"، لا تتقيأي.

لأتجنب ذلك جرجرت ســاقيّ المرتعشــتين، لكن إلى أين أهرب؟ إلى غرفة غســيل الملابس؟ أم إلى ســلم القبو؟ كانت الفكرة الأخيرة ســيئة لعينة، لأن الســلم به درجات مفتوحة، إذا هبط إلى أسفل سينكشف أمري على الفور.

لم يتبق سوى الغرفة الأخرى، تلك التي أخشاها، تلك التي يمكن أن تكون لوسي فيها. لكن لا شــيء ســيُجدي، لأنه يتحرك، مثلي تمامًا. لذا أدرت قبضــة الباب الكريه إلى أسفل في هدوء شديد، وتأكدت أنه مفتوح. إن خطواته تدوي بالفعل على السلم.

سلم القبو.

لم أغلق الباب خلفي (لا وقت هناك!)، لكنني أواربه في خفة وأمشــي على أطراف أصابعي بهدوء قدر استطاعتي في هذا الظلام الدامس. لكن إلى أين أتجه؟ **إلى أين؟**

أنا لا أعرف هذه الغرفة، هذه الفجوة السوداء، لذلك ليس لدي في الواقع سوى إمكانية واحدة، أن أزج بنفسي في هذا الركن الضيق خلف الباب، هذه المساحة الضيقة بين الباب والحائط. إنه هناك. في الردهة، والآن في هذه الغرفة المرعبة، يضــيء مصباحها وهو يصفِّر. أحاول أن أكتم أنفاسي، على الرغم من أن رئتي مضطربة وعلى وشــك الانفجار، كأنني جريت لألف متر. يا لي من غبية! هل أريد أن أنقذ لوســي بهذه الطريقة؟ أقتحم كل البيوت المجاورة باحثةً عنها؟ ماذا إذا ثبتت صــحة نظريتي واتضح أن معقوف الأنف ضالع *حقيقةً* في اختفاء لوسي؟ وماذا لو وجدت نفسي في مواجهة شخص معتل نفسيًا، في حين أن أحدًا لا يعلم شيئًا عمّا أفعل؟ ألم يكن من الأفضل أن أترك على الأقل قصاصة ورقية في حجرتي أشرح فيها ما أنويه؟ هل كنت سأكتب على سبيل المثال: اليوم 10 ديسمبر، أنا اليوم عند المشتبه به فلان الفلاني في شارع المعتلين نفسيًا رقم 1أ؟

---

[2]كلمة "أمبر" هي منطوق "Amber" والتي تعني بالعربي "عنبر"

غمغم الرجل وهو يخطو داخل الغرفة: "أين هذا الشـــيء الآن؟"، تجمدت حينها كصـــخرة وأنا لا أرى شـــيئًا، لأن الباب الذي يخفيني، يحجب عني الرؤية. ثم أتت الصـدمة الثانية. الباب يتحرك، يريد أن ينغلق ليحبسـني وحيدة مع معقوف الأنف في الغرفة. أشـــعر مجددًا أن هناك ما يندفع من معدتي إلى حلقي. هذا قراري: هذا آخر عهدي باقتحام البيوت. وإن اضـطررت لتكرار ذلك، فلن آكل شـيئًا قبلها. مددت يدي بحذر لأمسك بمقبض الباب وأمنعه من الانغلاق.

يفتش السيد "شلودر" في هذه الأثناء بجنون في شيءٍ ما، بدا من صوته أنه صندوق محشو بأشياء، ويقول:

"ما هذا القرف ... لاااا. أم ماذا؟ هذه الساقطة! حسنًا، هنا ...!

ساقطة.

ساقطة؟

أرجوك يا ربي، أرجوك لا تجعله يقصد "لوسي" بهذه الكلمة، دعه يمشي، دعه ...

وهنا انطلق صـوت لم يكن على البال أو الخاطر أيضًـا، إلا أنه مألوف. أسـمعه غالبًا من أخي الصـغير "توم" ذي الخمس سـنوات. وعندما يصـدر منه أود في كل مرة لو أتمكن من أن ألوّي عنقه النحيل. لقد أطلق معقوف الأنف ريحًا، *فازداد شـــعوري بالغثيان.*

إنه يتحرك الآن. يوشك قلبي على التوقف، عندما شـعرت بحركته في اتجاه المخرج، أي في *اتجاهي.* مرت ثانيتان وددت فيهما لو ذُبت والتصقت بحائط القبو العاري.

يطفئ المصباح ويغلق الباب خلفه. بهذه البساطة.

لقد نجوت.

أم أنه ...

إنه لن يحكم *غلق الباب*، أم ماذا؟ هل كان هناك مفتاح في الباب من الخارج؟ ماذا يمكنني أن أفعل حينها بحق الجحيم؟ هل يسـتقبل هاتفي شـبكة هنا؟ هل يمكنني أن أجد باب داخلي هنا؟ ماذا لو ...؟

كان في تلك اللحظة يسحق درجات سلم القبو مرة أخرى صاعدًا إلى أعلى.

ألتقط أنفاسي دون عمق، حتى لا أضطر لشم رائحة ريحه المقززة. وعلى الرغم من ذلك تسلل العفن إلى رئتي، ستظل أليافي العصبية تتذكر دائمًا هذه الرائحة العفنة المسكَّرة في نفس الوقت.

يسود الظلام مرة أخرى. هذا السواد السخيف المحيط بي ويريد أن يزيح كل ما هو مضيء أو جيد إلى الخارج. لا أزال محتفظة بيدي على فمي حتى أقاوم الشعور بالغثيان. متى سيغادر ثانيةً؟ ومن هي تلك التي نعتها بالساقطة؟

التقطت وقع خطواته الغامضة فوقي، ثم دوى صوت في الأعلى، وكأن باب المنزل ينغلق. أرفع يدي الممسكة بالمصباح اليدوي ببطء شديد للغاية وأضيؤه. يقطع الصمت في نفس اللحظة تقريبًا صوت صفير من جانبي صادر عن رسالة على واتس آب. حسنًا. في هذه اللحظة لم أعد قادرة على كتمان شعور الغثيان أكثر من ذلك، أندفع خارج الغرفة مترنحة كالمخمورة متجهة إلى غرفة غسيل الملابس، ربما أجد هناك حوضًا ما. من المؤكد أنه هناك.

لابد. لا أعرف كيف سأتصرف إن لم يكن هناك!

وهناك تقيأت كل شيء. القهوة بالحليب والموسلي. وبينما يدير معقوف الأنف سيارته أمام الباب، تخطر لي رائحته الكريهة، وأنا أتقيأ آخر حبة ذبيب وآخر رقائق شوفان أكلتها. رائع! ممتاز! هل هذه حقًا هي الطريقة المثلى لمن *لا* يريد أن يترك أي أثر من حمض DNA في مسرح الجريمة؛ يفرغ معدته في حجرة الغسيل؟

لكن على آية حال هناك حوض، وقد وجدته بالرغم من كل شيء. ولكن مهلًا، أنا أرتدي عوازل بلاستيكية فوق حذائي (على الرغم من أن هذا الشيء اللعين زلق لدرجة تعيق حركة من يضطر للاختباء *سريعًا* في أي مكان). كما أنني أرتدي قفازات عازلة. لكنني ألم أفكر مطلقًا أن أفعِّل الوضع الصامت لهاتفي؟ يالي من حمقاء بائسة وحالي يرثى لها. ماذا كان سيحدث إن أصدر الهاتف صفيره في وجود هذا الكائن بجانبي؟

من تراه يكتب رسالة واتس آب في صباح يوم اثنين مزعج كهذا؟

إنها "نيكي"، صديقتي المقربة.

مرحبًا. كيف حالك؟ أفتقدك للغاية. سأكون سعيدة إن عدتِ إلى المدرسة غدًا. إن كانت أمورك ليست على ما يرا م، كما أتوقع، فأنا موجودة لمساعدتك. اتفقنا؟

حسنًا نيكي، شكرًا على تعاطفك معي!

عندما تحولت أفكاري إلى المدرسة شعرت أنني أرغب في التقيؤ مرة أخرى فورًا. انزعجت عندما ورد "تايلور" على خاطري، بشعره المنفوش الأشقر الداكن، وعينيه الفيروزيتين شديدتي الجمال لدرجة تثير الغيظ، وعضلات بطنه المشدودة السخيفة التي ينشر صورها على إنستجرام. هذا الحقير. إذا كان هناك شخص في هذا الكون لا أريد رؤيته إطلاقًا، فهو هذا الشخص. والمؤسف أنني مضطرة غدًا للجلوس في نفس القاعة التي يجلس فيها.

أزلت كل آثار حمض DNA قدر استطاعتي. نظفت الحوض من القيء وتركت الماء ينساب بقوة في مجرى الحوض. وعلى الرغم من ذلك ستنبعث الرائحة الكريهة من هنا مساء اليوم. لا يهم. معقوف الأنف لن يستدعي رجال الشرطة من أجل ذلك.

إن حجرة الغسيل مهجورة هي الأخرى مثل باقي المنزل، هناك منشر غسيل معلق عليه قليل من الجوارب والسراويل الداخلية ذات الثقوب، التي أفضِّل عدم تأملها بشكل دقيق. عدت أطرح على نفسي سؤالًا: لماذا يعيش السيد شلودر في منزل كبير كهذا وحيدًا؟ ألقي نظرة سريعة على هاتفي. لقد حمَّلت تطبيقًا يمكِّنني من تعقب سيارته. إنه في طريقه إلى العمل في مدينة فيسبادن، كما جرت العادة. أهم شيء أنه ذهب. يمكنني الآن التقاط أنفاسي، واستكمال استكشافي في هدوء، حتى أنني أضأت مصباح القبو الكريه.

كان القبو فارغًا فيما عدا بعض الرفوف القليلة. تتناثر بعض صناديق النقل عشوائيًّا في الأركان. لقد فهمت. هذا الرجل لم يقطن المنزل فعليًّا، فهو لم يفرغ أغراضه كاملةً. أقترب في ملل من الصندوق الأول وأسحب تلك الصورة ذات الإطار لسيدة في الخمسينيات من عمرها. أتأمل صورة السيدة ذات الخصلات البنية التي من المؤكد أنها عاشت زهرة شبابها في الثمانينيات، وهذا ما يفسر ظل الجفون الأزرق الذي تتزين به. تبدو وكأن اسمها "أوشي". الصندوق مملوء بصورها. هناك لقطات

لها وهي ترتدي البيكيني على الشاطئ، أو فوق أحد الجبال، أو ممسكة بكأس خمر في يدها. وتظهر في صور أخرى دون ملابس، تتمطَّى فوق الفراش.

وجدت كذلك صور لجاري في أزمنة مختلفة، تارة وهو شاب يرتدي جاكت من الجلد وحذاء مخصص لركوب الدراجات النارية، تعلو وجهه ابتسامة مشرقة، وفي الخلفية توجد دراجة نارية ماركة هارلي، وتارة مع الأصـــدقاء في إحدى الحانات، أو مع الكلب فوق الأريكة أو في المرعى. ثم الكثير من صـــور أوشـــي مرة ثانية. ترى هل هي تلك التي نعتها بالساقطة؟

أنبش في الصناديق الأخرى، فلا أجد سوى بعض الملابس القديمة والأجهزة المنزلية البالية؛ شوَّاية مسطحة (أحقًا ما أرى؟) ومروحة وفناجين مرسوم عليها رسم يدوي، ووسـادات عليها صـور للكلب وأخرى موَّقع عليها بقلب صـغير وكلمة: *أحبك*. حقًا، الآن؟

أعود إلى الطابق الأرضي لأستكشف حجرة المعيشة بشكل أدق. كنبة مكسوة بالجلد عليها وسـادات حمراء كستنائية، والجدران خالية إلا من صـورتين كبيرتين لمشـاهد طبيعية، أجزم بنســبة 100% أنهما تعودان إلى أحد متاجر الأثاث الســويدية. يجلس القرفصـاء إلى جانب جهاز التلفاز الضـخم تمثال باسـم لبوذا، وهي المحاولة الوحيدة لمنح الحجرة بعضًا من الزينة.

أخيرًا وجدت مجلة برامج التلفاز على الأريكة، فكان ذلك الإثبات الأخير في النهاية أن هناك *وغد عجوز* يعيش في هذا المنزل. أقصـــد أنه لا أحد ممن أعرفهم مطلقًا سيشتري مجلة التلفاز هذه (هل سمع يومًا عن الإنترنت. هل هي الشيخوخة؟)

أما الثلاجة فهي أرض مهجورة آخرى: ليس فيها ســوى منتجات أســواق "ألدي" من ســجق وجبن ومســتردة وبيرة. هذه الأخيرة تحديدًا هي الأكثر بؤسًـا، لا يجاوزها في مستوى البؤس شيء آخر، لا يجب أن يهبط أحد إلى هذا المستوى، ويشرب البيرة في زجاجات بلاســتيكية، أو ربما هو وحيد لدرجة محزنة. وددت لو طهوت له حســاءً، حتى يجد طعامًا ساخنًا في انتظاره عند عودته.

تؤكد لي الرسائل الموجودة في الردهة أن معقوف الأنف اسمه شتيفان (وهو ما عرفته بالفعل من بحثي السابق)، التقط له المرور صورة مخالفة من فترة ليست بطويلة على

الطريق بين مدينتي فيسبادن وإلتفيل، وقد حجز في مارس رحلة مدتها أسبوعين إلى تايلاند. في هذه الأثناء صار لديّ يقين أنه ليس له أي صلة باختفاء "لوسي". لكن لا يصح أن يكون لدى أحد مثل هذا اليقين، لذلك سرت في تراخٍ إلى الطابق العلوي الأول، على الرغم من أن جوع عنيف عاد يعتريني بعد ما أصابني.

جدران غرفة النوم مطلية باللون الرمادي الفاتح، تعبّقها رائحة العرق البارد ورائحة ريحه الراكدة. فراشه غير مرتب، وهناك العديد من الكتيبات السياحية عن تايلاند ورواية بوليسية على الكومود. محتويات خزانة ملابسه ليست غريبة، لكن على الرغم من ذلك أفتش في كل شيء بإصرار، حتى وصلت إلى درج ملابسه الداخلية، حيث وجدت رزمة ضخمة من العملات الورقية. كم يمكن أن يكون هذا المبلغ؟ أربعة آلاف يورو، أم ربما أكثر؟ لا يبدو شتيفان على كل حال شخصًا مميزًا لافتًا للنظر. باب غير محكم الغلق، ومال مخبأ بجانب الجوارب والسراويل الداخلية؛ هذا البيت هو أرض النعيم لأي مقتحم يبحث عن هذا السيناريو تحديدًا.

قررت أن أختلس مائتي يورو من هذا المبلغ، لأن المتعقب الذي ألصقته بعدد من السيارات في نفس الوقت (ست سيارات إجمالًا) كلفني ثروة طائلة.

ملصق فرقة كوين الموسيقية معلق في غرفة المكتب، المكتب نفسه يعلوه التراب وأكوام الأوراق المكدسة. وعلى الرغم من أنني قد أصابني الملل الشديد، فتحت جهاز اللابتوب الخاص به، وأخذت أجرب كلمات مرور مختلفة. الكلمة الأهم ستكون تاريخ ميلاده الذي وجدته سريعًا في أحد الخطابات الملقاة حولي.

15 يونيو 1963. هذا تاريخ كان الناس يشترون فيه مجلات برامج التلفاز.

جربت كلمات Stefan63، Stefan1963، STEFAN63 بكل التراكيب الممكنة، ثم Juni1963 وهكذا. بلا جدوى. أدير بصري في أنحاء الغرفة، يصاحبني صوت قرقرة معدتي، حتى يتعلق بصري بملصق فرقة كوين، يبدو أن الملصق هو إعلان أصلي يعود لعام 1978 (إنه الشيء الوحيد اللطيف الذي وجدته في هذا المنزل.)

حسنًا. إذن فلأجرب هذه الكلمات. Freddy1978، freddy1978، Mercury1978، mercury1978، fmercury1978.